المختصَر

في

بعضِ أخبارِ غزوةِ بَدْر

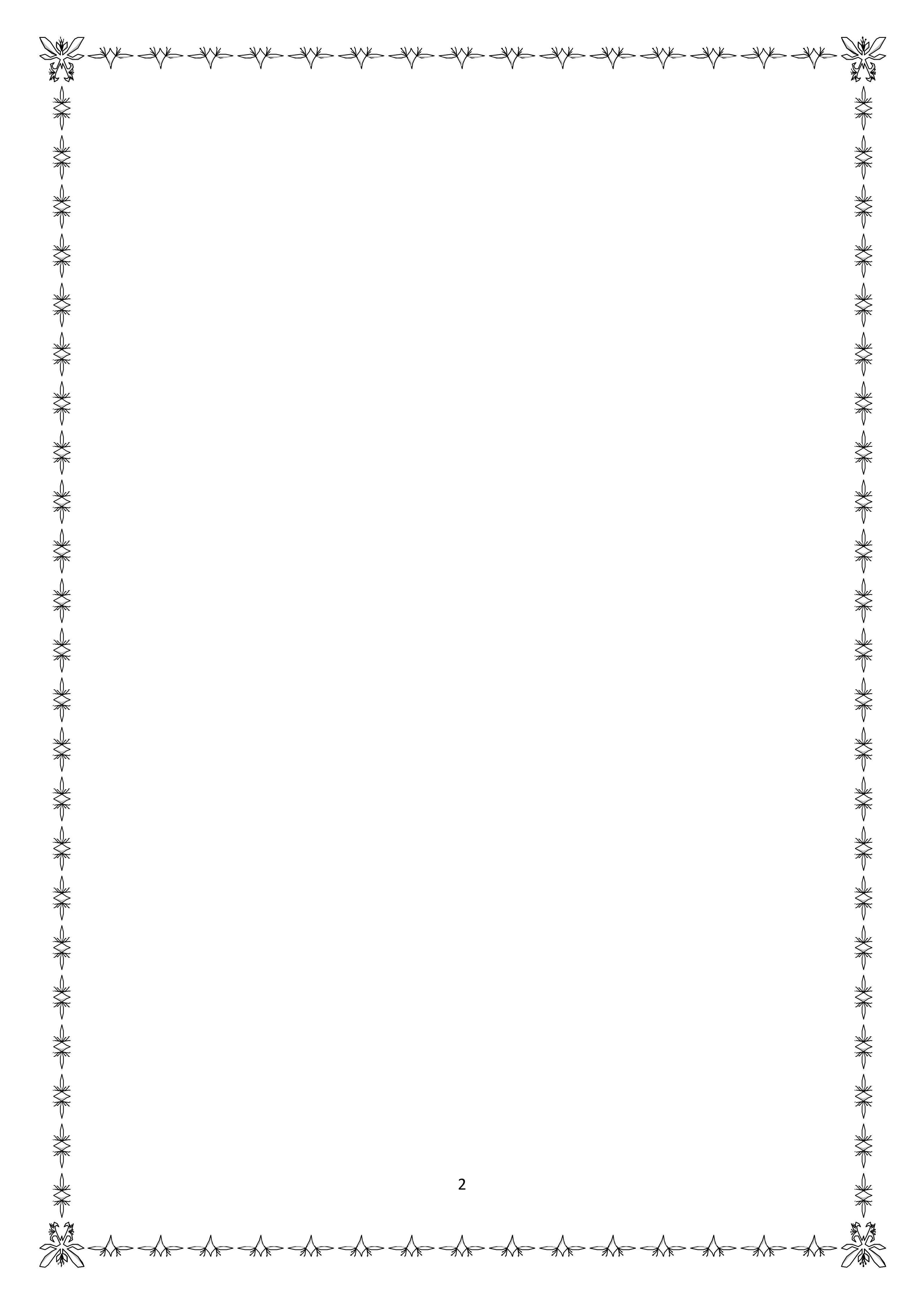
وفضلِ أهلِها السّادةِ الغُرَر

رضي الله عنهم

جمعه العبد الفقير: سليم بن الطاهر رحموني

إمام أستاذ خطيب ومدرِّس بمسجد التجانية بمدينة بسكرة

-الجزائر-



المختصَر في بعضِ أخبارِ غزوةِ بَدْر وفضلِ أهلِها السّادةِ الغُرَر

رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّنا محمد وآله

رب يسِّر ولا تعسِّر عونك يا معين

*** الدِّباجة ***

الحمد لله الذي اختصّ الشهر الأغرّ، رمضان الأنور، وخَصّ بعظِيمٍ من فضله الأوْفر، ليلةَ السابع عشر، أبدى صبيحتها عَلَمَ نصرِه المؤزَّر، وتأييده الأكبر، لحبيبه الأعطر، سيّدِنا ومولانا محمدٍ ذي الجبين الأزهر، صلى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وأهل بيته المطهَّر، وأصحابه الكرام ممّن هاجر ونصر، خصوصاً مَن ببدرٍ حضر، ومَن تبعهم على أقوم السِّيَر، إلى يوم المحشر، **وأشهدُ** أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. معزُّ الإسلام بنَصْره، ومذِلّ الشِّرْك بقَهْره، ومُصَرِّف الأمور بأَمْره، ومُدِيم النِّعَم بشُكْره، ومُسْتَدْرِج الكافرين بمَكْره، الذي قَدَّر الأيّام دُوَلاً بعَدْله، وجعل العاقبة للمتّقِين بفَضْله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينَه على الدين كلِّه، القاهرُ فوق عباده فلا يُمَانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يدافَع. **وأشهد** أنّ سيِّدَنا محمّدًا عبدُه ورسولُه. وصفيّه من خلقه وخليله. أقام الله به الملّةَ العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد الضلالة، وعلّم به بعد الجهالة، وأعزّ به بعد الذِّلّة. وجمع به بعد الفُرْقة، وأغنى به بعد الفاقة.

إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره وتفريج كربه. فليكثر من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها تُرضي الله وتُرضيه. اللهمّ صلِّ وسلِّمْ وبارِك على سيِّدِنا

محمّد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثُها وأذكارُها. وتنافست الرجال في خدمتِها. وعلى آله الحائزين شرفَ السيادة وعظيمَ مِقْدارها. كما ورد ذلك في صحيح السنّة وأخبارِها. وعلى أصحابِه الداعين إلى الهداية من مشكاة أنوارها. البائعين أنفسَهم لله فنالوا الشهادة في مضمارها.

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ * مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً * فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ
كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُباً * مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ
تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ * فَتَحْسبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ * إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

اللهمّ انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولاعن طريقتهم. برحمتك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين.

*** المقدِّمة ***

أمّا بعد: فيا أيّها الأحباب. نعيش وإيّاكم في هذا اليومِ العظيم ذكرى خالدةٍ عظيمة، ذكرى غزوةِ بدرٍ الكبرى، وقعت هذه الغزوةُ صبيحةَ يومِ الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك. في مثل هذا اليوم بالذات، في السنة الثانية من هجرة سيّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، وإنّ في تجديد الذكريات تجد النفوس سُلْوتَها، وتستذكر الأجيالُ تأريخها، وتأنس القلوب وهي تُعيد النظر كَرّةً بعد أخرى في سِيَر أمجادِها وسِجّلات أبطالِها، وتَعظُمُ هذه الذكريات وتزهو حين تكون ذكريات نصْرٍ وخيرٍ وفداءٍ وبطولة، يُتوِّجُها شرف الزمان والرجال. فالزمان: شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان. والرجال: سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحْبه الكرام من المهاجرين والأنصار. رضي الله عنهم وأرضاهم. خير القرون، وأزكى الأمم، وأبرُّ الأجيال.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ. هذه الغزوة التي سَمَّى الله يومها بيوم الفرقان. والتي امتَنَّ الله فيها على المسلمين بالنصر. فقال في سورة آل عمران:((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ)). هذه الغزوة التي قادها نبيّنا صلى الله عليه وسلم بنفسه مع الفئة المؤمنة. وكان عددهم لا يزيد عن ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً. ضدّ قوى الظلم والبغي والإلحاد، ضدّ قريش التي جمعت خَيلها وخُيلاءها وعَددها وعُدّتها، وبلغ عدد المشركين ما يربو على الألف رجل من صناديد قريش. وتأتي الغايةُ كما وعدَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه. عندما قالَ عزَّ مِن قائلٍ في سورة غافر:((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وفي قولِه سبحانه وتعالى في سورة الروم:((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)). وقولِه في سورة البقرة:((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)). ولقدَ هيّأَ اللهُ سبحانه وتعالى لهذه المعركةِ أسبابَها حتى يَصطدمَ الحقُّ والباطلُ، فتكونَ الغلبةُ للحقِّ وحزبِه؛ ولِيُظْهِرَ اللهُ دينَه على الدينِ كلِّه ولو كرهَ المشركون، فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال:((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). هكذا شاءَ اللهُ سبحانه وتعالى.

***** سبب الغزوة *****

أيّها الأحباب. وحديثُ غزوة بدرٍ الكبرى حديثٌ طويل لا تَملّه النفوس المؤمنة، ولكنّنا نجتزئُ بعض أحداثِها المهمّة. فنقول: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج أبي سفيان من الشام إلى مكة في عِير قريش. وهم الذين صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

وأصحابَه عن سبيل الله. وهم الذين أخرجوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه من ديارهم وأموالهم. فبدؤوا بالظلم على المسلمين. فندب النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه إلى تلك العِير. قافلةٌ لقريشٍ قوامُها ألفُ بعير محمَّلة بالغالي والنفيس، وليس معها إلا أربعون مشركا، فقال عليه الصلاة والسلام:((هذه عيرُ قريشٍ، فيها أموالُهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلُكُمُوها)). فخفَّ قومٌ، وثقلَ آخَرون؛ لأنّهم لم يكونوا يحسِبون حساباً لمعركةٍ؛ إذ كانوا يظنّون أنَّ القضيةَ قضيةُ عِيرٍ فقط، فلذلك لم يَخرج المؤمنون بأكملِهم، وإنّما بقيَ أكثرُهم بالمدينةِ المنوّرةِ، وخرجت فئةٌ قليلةٌ، خرجوا أذلّة في ضَعفٍ من العُدّة. وقلّة من العَدد. لم يخرجوا لقتالٍ وإنّما خرجوا للعِير؛ ولهذا ليس معهم سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيرًا يعتقبونها وفَرَسَان اثنان فقط؛ لأنّهم لا يريدون عدوّهم. ولكنّ الله جمع بينهم وبين عدوّهم بحكمته على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، ويعِدهم سبحانه إحدى الطائفتين. فقال سبحانه في سورة الأنفال:((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنّ غَيْرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)). وقال أيضا في سورة الأنفال:((إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). هكذا هيّأَ اللهُ سبحانه وتعالى الأسبابَ، وربطَ بعضَها ببعضٍ،

أيّها الحاضرون الكرام. ثم إنّ أبا سفيان لَمَّا علِمَ بخروج النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه إلى العِير بعث صارخًا إلى أهل مكة يستنجدهم ليمنعوا عيرَهم. فخرجوا من ديارهم قريبًا من ألف مقاتل، خرجوا كما وصَفَهم الله تعالى في سورة الأنفال:((خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ)). يقول قائلهم: واللهِ لا نرجع حتى نَقْدم بدرًا ونقيم فيها ثلاثًا. نَنحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا. قالوا ذلك لِمَا عندهم من البطر والخُيَلاء، قالوا ذلك ولكنّ الله ((بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأنصارِه رقيب حفيظ، وقد كانَ مِن حكمةِ اللهِ سبحانه وتعالى أنْ قلّلَ عددَ هؤلاءِ وعددَ هؤلاءِ في نظرِ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين، فإنَّ كلَّ طائفةٍ رأت عددَ عدوِّها عدداً قليلاً بمشيئةِ اللهِ، وقد أرى اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أعداءَه الكافرين قلّةً. كما قال تعالى في سورة الأنفال:((إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)). وكذلك قلّلَ عددَ المشركين في عيونِ المسلمين، وقلّلَ عددَ المسلمين في عيونِ المشركين. فقال سبحانه:((وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)). فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أرادَ بذلكَ أن تشتّدَ حميّةُ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين للقاءِ الطائفةِ الأخرى؛ حتى يَتِمَّ ما أرادَ اللهُ سبحانه وتعالى من النصرِ والتأييدِ لهذا الدِّينِ، وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأُفق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال:((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)). فقيَّض الله عزّ وجل لرسولِه صلى الله عليه وسلم وأصحابِه

من أسباب النصر ما به انتصروا. ولأعدائه ما به خسؤوا وانكسروا، فقَتلوا من صناديد قريش سبعين وأَسروا سبعين. وألقى جثث موتاهم في قَلِيب بدر. ثم وقف عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يقول: يا فلانَ ابنَ فلانٍ، أيَسُرُّكم أنّكم أطعتم اللهَ ورسولَه؛ فإنّا قد وجدنا ما وعَدَنا ربنا حقًّا. فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسولَ الله، كيف تكلّمهم وهم جِيَف؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: واللهِ ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم، ثم رجع فَلُّ قريش إلى ديارهم مهزومين مَوْتُورين خائبين ذليلين، واستُشهِد من المسلمين أربعةَ عشر رجلا. ((فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)).

***** دروس وعِبَر من غزوة بَدْر *****

أيّها الأحباب. ليست الغاية من غزوة بدر مجرَّد قصّة تُقَصُّ لتُنْسى، أو وقائع تُرْوى فيُغْفَل عنها بعد ذلك وتُطْوى؛ وإنّما المراد من القَصَص أَخْذُ العِبْرة، يقول ربنا في سورة يوسف:((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)). وقال في سورة هود:((وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)). وسنحاول إن شاء الله تعالى أن نقتطف بعض الدُّرَر، ونأخذ بعض العِبَر، التي تصل بنا إلى مقام التّذكّر والذكرى. قال تعالى في سورة الذاريات:((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)). والذكرى لابدّ لها من قلبٍ حاضر مع البيّنات، متلقٍ للعِبر والمواعظ والآيات، قلبٍ عند منابعِ الخيرات قعيد، كما قال تعالى في سورة ق:((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)).

فأوّل هذه العِبَر: أنّ مِلَل الكفر على تفرّقها واختلافها. وأهل الباطل على تنوّعهم. إذا كان الهدف هو الإسلامُ وأهلُه. تكالبوا عليهم. واتّحدوا ضدّهم. وهذه الحقيقة بيّنها الله في أواخر سورة الأنفال.

فقال سبحانه:((وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير)). وهذه حالُهم منذ قام الصراع بين الحق والباطل إلى يومنا هذا، فكفّار اليوم هم أبناء كفّار الأمس، ومنافقو اليوم ورثوا النفاق صاغرا عن صاغر. فموالاة الكفارِ وأهلِ الأهواء من أسباب الفتنة في الدين. والإفساد في الأرض. لذلك يجب أن يكون الولاء للمؤمنين. كما قال تعالى في سورة الأنفال:((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير)).

ومن العبر كذلك: تحقيقُ الصحابة رضوان الله عليهم في معنى الولاء الكامل لسيِّدِنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلا بأس عندهم أبدا في أن يُقدّموا الأرواح في سبيل رَفْع رايةِ لا إله إلا الله محمد رسول الله. إنّه صِدْق الإتّباع تُنبّئ عنه مواقف هؤلاء الكرام حين استشارهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم في مسألة الخروج لمواجهة الكفار، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثا، ففهمت الأنصار أنّه يَعنيهم. فبادَر سيّد الأنصار. سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله: كأنّك تُعَرِّض بنا؟ وكان إنّما يعنيهم لأنّهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلمّا عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم. فقال له سعد: لعلّك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقّا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإنّي أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصِلْ حَبْل مَن شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منّا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتَ فيه من أمر فأمرنا تبعٌ لأمرك، فوالله لئن سِرْتَ حتى تبلغ البِرَك من

غمدان، لنسيرنّ معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك. وقال له المقداد بن عمرو رضي الله عنه: لا نقول لك كما قال قومُ موسى لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شِمالك ومن بين يديك ومن خلفك. فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه، فأشرق وجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. وسُرّ بما سمع من أصحابه. وقال:((سيروا وأبشروا، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتَيْن. وإنّي قد رأيتُ مصارع القوم)). قال تعالى في سورة الأنفال:((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِين لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون)). نعم. إنّه الحب والولاء، وصِدْق والإنتماء.

ومن المواقف الإيمانية الرائعة في هذه الغزوة: أنه لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمارس دَوْر القائد العسكري، وأخذ يعدِّل الصفوف بقِدْحٍ كان في يده، بعصًا أو سَهْم، وفي هذه الأثناء يحصل مشهد عجيب، ففي أثناء تسويّته للصفوف رأى سَوَاد بن غزيّة رضي الله عنه خارجا عن الصف، فضربه صلى الله عليه وسلم على بطنه قائلا:((اسْتَوِ يا سَوَاد))، والرسول صلى الله عليه وسلم فعل هذا لأنّ المقام مقام انضباط ونظام. فقال سواد: يا رسول الله، لقد أوجعْتَنِي، فأقِدْني من نفسك، أيْ مَكِّنّي منك أقتصّ منك، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن كشف عن بطنه الشريف:((اقتصّ يا سواد))، فاعتنقه سواد وهو يبكي ويقبِّل بطنه، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم:((ما حملك على هذا يا سواد؟)). قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى من مشاهد الموت، فأردتُ أن يكون آخِر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك الشريف يا رسول الله. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير. أَيُّ حب في قلوب هؤلاء

الكبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لم تُنسهم مشاهد الموت حبَّهم لحبيبهم صلى الله عليه وسلم، إنّه مشهد عظيم من مشاهد الإلتحام.

ومن المواقف البطولية الإيمانية المدهشة: من مشاهد الحب والإلتحام، وهو درسٌ للخاصّ والعام، يقول سيّدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إِنِّي لَقَائِمٌ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ غُلامَيْنِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلُعٍ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ, أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ. وَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ تَرَجَّلَ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلانِ عَنْهُ. فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلاهُ. ثم انصرفا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما:((أيّكما قتله؟)). فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُه. فقال:((هل مسحتما سيفكما؟)). فقالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال:((كلاكما قتله)). والفتَيان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوِّذ بن عفراء رضي الله عنهما.

إنّها مواقف تُنْبِئ عن عظمة هذا الجيل، جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الذي تربّى في رياض القرآن، فهذان فتيان صغيران دفعهما حبهما لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وغيرتهما عليه. فاندفعا لقتل فرعون هذه الأمّة أبي جهل.

أيّها الأحباب. ومن دروس وعِبَر هذه الموقعة المباركة: أنّ العبد مطالب بالأخذ بالأسباب، فإنْ أخذ بها فإنّه مطالب بعد ذلك بالدعاء والتضرّع إلى الله رب الأرباب، فتَرْك الأخذ بالأسباب بابٌ فيه إغفال لجانب الإعداد، والإستعلاء عن الدعاء فيه قَطْع لخيط الإمداد، وكلاهما دليل انطماس البصيرة، فالدعاء من أقوى أسلحة

المؤمن في مواجهة مكْر الأعداء وكَيدهم وعدوانهم. وهذا ظاهر في مُناشدة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ربَّه والتضرّع إليه. فقد بات صلوات ربي وسلامه عليه ليلة المعركة وهو الموصول بالله. يصلي ويتضرّع، ويبكي، ويناجي ربه، يدعو ويبتهل ويقول:((اللهمّ هذه قريش جاءت بخَيلائها وفخرها، تُحادّك وتُكذِّب رسولَك، اللهمّ فنصْرَك الذي وعدتَّني، اللهمّ فأَحْنِهم الغداة. اللهمّ إنْ تَهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض)). حتى أشفق عليه الصّدّيق رضي الله عنه قائلا: هوِّن عليك يا رسول الله، فإنّ الله سيُنجِز لك ما وعدك. فاستجاب الله لنبيّه. وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأُفُق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال:((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)).

ومن العِبَر كذلك من هذه الغزوة المباركة: معرفة أهميّة ذِكْر الله في حالة مواجهة الأعداء، وهذا واضح في ذِكْر صفات المؤمنين الكمّل، والمجاهدين الخلّص، وَسَط هذه الآيات التي تُخبر عن غزوة بدر، وأوّل صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنفال:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)). وأوضح من ذلك قوله تعالى في نفس السورة:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون)). وبهذا نفهم حديث أبي الدرداء رضي الله

عنه الذي رواه الترمذي وابن ماجه والإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في المسند. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)).

*** فَضْل أهل بدر السّادة الغُرَر رضي الله عنهم ***

أيّها الحاضرون الكرام. لقد كانت معركةُ بدرٍ أوّلَ معركةٍ فاصلةٍ بين الحقّ والباطلِ، وبين الهدى والضلالِ، وهي كاسمِها بدْرٌ منيرٌ، أضاءَ للسالكين الطريقَ، وهي أيضاً كاسمِها فرقانٌ، فقد سمّى اللهُ سبحانه وتعالى يومَها يومَ الفرقانِ؛ لأنّه كانَ يوماً فارقاً بين الحقِّ والباطلِ، وبين حزبِ الهدى وحزبِ الضلالِ. وإنّ الشّرف الذي ناله أهلُ بدرٍ رضي الله عنهم. لم ينله أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ:((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ:"مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ" أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها:((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

وسلم:فَمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا})). وروى إبن أبي شيبة في مصنّفه عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقّهم:((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

***** خواصّ أسمائهم رضي الله عنهم *****

وأمّا خواصّ أسمائهم: فقد قال ابن برهان الدين الحلبي في سيرته: وذَكر الإمام الدّوّاني أنّه سمِع من مشايخ الحديث أنّ الدعاء عند ذِكرهم يعني أصحابِ بدرٍ مستجاب، وقد جُرِّب ذلك. وذَكر الإمام جعفر البرزنجي في كتابه (جالية الكُرَب بأصحاب سيّد العجم والعرب). قال: قال الشيخ عبد اللطيف في رسالته: وذَكر بعضهم أنّ كثيرا من الأولياء أُعطوا الولاية ببركة أسمائهم. وأنّ كثيرا من المرضى سألوا الله بهم شفاء أسقامهم. فشُفوا من ذلك. رضي الله عنهم أجمعين. ونفعنا ببركاتهم آمين.

***** الدّعاء *****

اللهمّ يا حيّ يا قيّوم. نتوجَّه إليك بِجَمْعنا لأمّة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. وأنت أعلم بأحوالهم وما نزل بهم، فيا حيّ يا قيّوم فرِّج كروبَهم، وأصلِح قلوبَهم، يا حيّ يا قيّوم إجمع على الهدى شَمْلَهم، وألِّف ذات بينِهم، يا حيّ يا قيّوم أكشِف الشدائدَ عنهم، وحوِّل حالَهم إلى أحسن الأحوال، وأظهِر بينهم رايةَ حبيبِك سيّدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وارزقهم نَصْرها، اللهمّ اشفِ مرضاهم، وعافِ مبتلاهم. وفُكَّ أسراهم، واخذُل أعداءَهم، اللهمّ يا حيّ يا قيّوم نسألك فرجَك القريب، وغياثَك العاجِل، ونصرَك العزيز، وفتْحَك المبين، ببركة ووَجاهةِ عبدِك وحبيبِك الأمين. المصطفى سيّدِنا محمدٍ سيّدِ المرسلين، صلى الله عليه وآله وسلم.

وأهلِ كسائه علي بنِ أبي طالب، وفاطمةَ الزهراء، والحسنِ والحسينِ، وسائرِ أبنائه وبناتِه وذرّيّتِه، وأهلِ بيتِه الطاهرين، وخديجةَ الكبرى. وعائشةَ الرِّضى، وأُمّهاتِ المؤمنين، والخلفاءِ الراشدين، وأهلِ بدرٍ وأُحُدٍ وبيعةِ الرضوان، وجميعِ الصحبِ الأكرمين، وأهلِ حضرتِه من النبيّين والمرسلين. والملائكةِ المقرَّبين، وجميعِ عبادِ الله الصالحين، وصلِّ وسلِّم عليه وعليهم أجمعين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

. ...

فهرس المختصَر في بعضِ أخبارِ غزوةِ بَدْر وفضلِ أهلِها السّادةِ الغُرَر رضي الله عنهم

....

***** تمّ وبالخير عمّ *****